(٤٦) سورة الأحقاف

من الإشارات الكونية فى سورة الأحقاف

(١) الإشارة إلى خلق السماوات والأرض بالحق وأجل مسمى، وهذه البينية تشير إلى مركزية الأرض من السماوات، وهو ما لا تستطيع العلوم المكتسبة إثباته.

(٢) التأكيد على وجود عدد من البشارات بمقدم خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) فيما بقى من حق عند بعض أهل الكتاب.

(٣) تحديد فترتى الحمل والفصال للوليد بثلاثين شهرا فى هذه السورة المباركة سورة الأحقاف، وتحديد فترة فصال الوليد فى عامين كما جاء فى الآية الرابعة عشرة من سورة لقمان، وبذلك تكون أقصر مدة للحمل فى أنثى الإنسان هى ستة أشهر، وهو ما أثبته علم الأجنة مؤخرا.

(٤) الإشارة إلى قوم عاد، وإلى سكناهم فى الأحقاف، وإلى نبيهم هود (عليه السلام) وهو من أنبياء الله الذين لم يرد لهم ذكر عند أهل الكتاب، وإلى قصته مع قومه، وإلى شىء من صفاتهم، وإلى الوسيلة التى دمروا بها **(ريح فيها عذاب أليم)** والكشوف الأثرية الحديثة تؤكد صدق ذلك، بينما لم يكن معروفا عنهم شىء فى زمن الوحى ولا لقرون متطاولة من بعده، ولا ذكر لهم عند أهل الكتاب.

(٥) الاستشهاد بخلق السماوات والأرض على إمكانية البعث، وعلى أن الله (تعالى) على كل شىء قدير.

﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[المجادلة: ١١]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ... ﴾

[الأحقاف: ١٥]

من الإشارات الكونية فى سورة الأحقاف الإشارة إلى تحديد فترتى الحمل والفصال للوليد بثلاثين شهرا، وتحديد فترة فصال الوليد فى عامين كما جاء فى الآية الرابعة عشرة من سورة لقمان، وبذلك تكون أقصر مدة للحمل فى أنثى الإنسان هى ستة أشهر، وهو ما أثبته علم الأجنة مؤخرا.

من الإشارات العلمية فى النص القرآنى الكريم

أولا: فى قوله (تعالى): «... *حملته أمه كرها* ...»

يعيش جنين الإنسان فى بطن أمه فترة تتراوح ما بين الستة والتسعة أشهر معتمدا على جسدها اعتمادا كليا، مستمدا جميع احتياجاته الغذائية والتنفسية والمناعية من دمها، ومن ذلك الأحماض الأمينية، والمواد البروتينية **(من مثل مكونات خلايا العضلات والجلد والخلايا الدهنية)** والكربوهيدراتية **(من مثل المواد السكرية كالجلوكوز وغيره)**، والفيتامينات، والهرمونات، والأملاح **(من مثل الكالسيوم، والفوسفور، والحديد، وغيرها)**، والأكسجين، وخلايا المناعة وغيرها، ويأخذ جسم الأم الحامل من جنينها كل السموم التى يفرزها جسمه من مثل البولينا، وثانى أوكسيد الكربون وغيرهما. ومن الثابت أن جسد الأم الحامل يضحى لجنينها بكامل احتياجاته على حساب احتياجاته هو، ولو أدى ذلك إلى فقر دمها وإمراضها؛ ولذلك قال رب العالمين: «... *حملته أمه كرها* ...».

ومن الأعراض التى تطرأ على جسد الحامل اضطراب الجهاز الهضمى المصاحب عادة بالقىء، والغثيان، وسوء الهضم، والحموضة الزائدة، ونقص الشهية، والرغبة الشديدة فى بعض الأطعمة الخاصة، أو المواد الغريبة التى يحتاجها هذا الجسد، بالإضافة إلى ضغط الرحم على كل من المعدة والكبد خاصة فى الشهور الأخيرة من الحمل. وما يتحمله كل من القلب وأوردة الجهاز الدورى وشرايينه من جهد زائد لأجل ضخ الدم إلى جسم الجنين فيرتفع ما يضخه القلب من (٦٥٠٠ لتر/ يوميا) قبل الحمل إلى (١٥,٠٠٠ لتر يوميا) بعد الحمل. وقد يؤدى ذلك إلى إجهاد عضلة القلب، وإلى اضطراب ضغط الدم، أو إلى تمدد الأوردة وتعرجها (مرض دوالى الأرجل والأقدام).

كذلك فإن تزايد نمو الجنين فى شهوره الأخيرة قد يؤدى إلى مزيد من الضغط على كل من الحجاب الحاجز والرئتين مما يعيق عملية التنفس. كما أن كثرة إفراز الهرمونات المتعلقة بعملية الحمل قد يزيد كمية الماء المختزن فى الجسم ويظهر على هيئة تورم القدمين، وقد يؤدى إلى الاضطراب فى وظائف عدد من الغدد الصماء مثل الغدة الدرقية.

وقد تصاب بعض الحوامل بشىء من لين العظام أو هشاشتها لنقص الكالسيوم فى جسمها؛ نظرا لسحب الجنين كميات زائدة من كالسيوم دم الأم أثناء تكوّن عظام جسده. ومع مصاحبة ذلك لشىء من زيادة وزن الأم حوالى عشرة كيلوجرامات فى المتوسط يوضح جانبا مما تكابده الأم الحامل من مشاق فى حالات الحمل الطبيعى، وتتضاعف هذه المشاق أضعافا كثيرة فى حالات حمل التوائم، أو الحمل خارج الرحم مما يعرف باسم الحمل غير الطبيعى، والذى قد يؤدى إلى وفاة كل من الجنين والأم معا.

وإذا أضفنا إلى هذه الصعوبات الجسدية ما تكابده الأم الحامل من معاناة نفسية تتأرجح بها بين الرجاء والخوف، والتفاؤل والتشاؤم، والفرح والحزن، والاطمئنان والقلق، وحاجتها ـ وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الوهن الجسدى والحساسية الشديدة وسرعة التأثر والانفعال، والمشاعر المتضاربة من الاستبشار والتوجس خيفة ـ إلى العناية الشديدة من المحيطين بها، وإلى غمرها بمزيد من العطف والحنان الذى قد لا تجده فى أغلب الأحوال، اتضحت لنا روعة التعبير القرآنى الذى يقول فيه ربنا (تبارك وتعالى): «... *حملته أمه كرها* ...» أى بمشقة شديدة.

باكتمال الشهر الثالث من حياة الجنين فإنه يبدأ فى اتخاذ وضع خاص فى داخل رحم أمه، يكون فيه رأسه، إلى أسفل ومؤخرته إلى أعلى، ويتم ذلك بانقباض عام فى كل من جذعه وأطرافه على بعضها البعض، فينحنى الجنين برأسه فى اتجاه ركبتيه، ويثنى ركبتيه فى اتجاه رأسه مع جعل وجهه فى اتجاه ظهر أمه، حتى إذا جاءت لحظة الميلاد كان أول ما يخرج منه رأسه، وبخروجه يسهل خروج باقى جسده وسائر أطرافه، وتمثل الولادة الطبيعية بخروج الرأس أولا أيسر عمليات الوضع، إلا أن هناك العديد من حالات الوضع غير الطبيعية والمتعسرة، ويسبق الوضع آلام الطلق التى قد تفوق فى شدتها أية آلام أخرى تتعرض لها الأم الحامل طيلة مدة حملها، وقد تنتهى عملية الوضع فى بعض الأحوال بوفاة الأم أو الجنين، أو بوفاتهما معا لا قدر الله.

وقد تضطر الحامل إلى الولادة غير الطبيعية بالشفط، أو باستخدام بعض الآلات الخاصة (مثل الجفت) أو حتى بعملية جراحية بشق البطن تعرف باسم **« العملية القيصرية »**، وإلى غير ذلك من المخاطر. وعلى الرغم من أن التطور الطبى قد تمكّن من خفض نسبة تلك المخاطر إلا أنه لم يتمكن بعد من القضاء عليها، فلا تزال حمى النفاس منتشرة بين كثير من الوالدات، ولا تزال حالات تسمم الحوامل وإصابتهن بالعديد من الأمراض الجسدية والنفسية من الأمور الشائعة، خاصة فى المجتمعات المتخلفة علميا وتقنيا، وتكفى فى ذلك الإشارة إلى ضخامة حجم المولود بالنسبة إلى ضيق عنق الرحم، ولولا رحمة الله (تعالى) ودقة تقديره بتهيئة الجهاز التناسلى للمرأة الحامل بهيئة خاصة تعينه على إفراز العديد من الهرمونات التى توسع عنق الرحم وتجعله على استقامة مع الرحم ذاته، والتى ترخى كلا من عظام الحوض وعضلاته لتيسير عملية الولادة وخروج المولود الجديد إلى عالم الحياة الدنيا بشىء من اليسر لكانت عملية الولادة أمرا مستحيلا.

كما تكفى فى ذلك الإشارة إلى ما تتعرض له الوالدة من آلام أثناء عملية المخاض ومن بعده، ومن ذلك ما تشعر به من إجهاد شديد وقشعريرة بعد الولادة مباشرة، ثم ارتفاع فى درجة الحرارة، وما تتعرض له من انخفاض فى ضغط الدم، واضطراب فى

النبض، وتعرضها لإمكانية سقوط الرحم، وإلى غير ذلك من الأمراض التى قد تصيبها، والمعاناة التى قد تصاحب تلك الأمراض حتى تشفى وتعود إلى حالتها الطبيعية.

وتكفى فى ذلك الإشارة أيضا إلى ما تتعرض له الوالدة من نزيف دموى طيلة فترة النفاس، والتى قد تمتد من لحظة إلى ستين يوما (بمتوسط يقدر بحوالى الأربعين يوما) وذلك لسقوط المشيمة مع المولود، وتركها للأوعية الدموية التى كانت تصل بينها وبين جدار الرحم مفتوحة كالجروح النازفة، ولولا رحمة الله (تعالى) بالوالدة، تلك الرحمة التى هيأت لها إفراز العديد من الهرمونات التى تعين الرحم على الانقباض انقباضا شديدا بعد الولادة مباشرة لنزفت النفساء حتى الموت. وهذا الانقباض يعود بوزن الرحم (بدون محتوياته) من حوالى الكيلوجرام قبل الولادة مباشرة إلى حوالى الخمسين جراما فقط فى نهاية فترة النفاس، ويعود بحجمه من سبعة آلاف مليلتر فى المتوسط إلى حوالى المليلترين فقط، ويعود بجدار الرحم من خمسة سنتيمترات إلى أقل من سنتيمتر واحد فى السمك، وتستمر التغيرات فى جدار الرحم، وفى بطانته حتى يعود إلى هيئته قبل الحمل عبر سلسلة من المعاناة الحقيقية التى تتحملها الأم الوالدة بالكثير من الصبر والاحتمال؛ ولذلك قال ربنا (تبارك وتعالى): ﴿ ... ***حملته أمه كرها ووضعته كرها...*** ﴾

وقال المصطفى (صلى الله عليه وسلم) للرجل الذى حمل أمه على ظهره يطوف بها البيت الحرام وهى على ظهره، ثم سأله قائلا: يا رسول الله: هل قضيت حقها؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **لا، ولا بزفرة واحدة**، والزفرة (وجمعها زفرات). (الزفير) بمعنى إخراج النفس من الرئتين، وعكسها (الشهيق) وتشجع الوالدة أثناء الوضع على التنفس بطريقة خاصة تعينها على تحمل الطلق.

ثالثا: فى قوله (تعالى): ﴿ *... وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ...* ﴾

درج الناس على أن مدة حمل الجنين البشرى هى فى حدود التسعة شهور قمرية أو ٢٦٦ يوما من لحظة الإخصاب، وعلى ذلك اتهموا كل وضع قبل تلك المدة بالزنا، كما حدث فى الحادثة التى رواها محمد بن إسحاق عن معمر بن عبد الله الجهنى قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة، فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان

(رضى الله عنه) فذكر له ذلك، فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يبكيك؟ فوالله ما التبس بى أحد من خلق الله (تعالى) غيره قط، فيقضى الله (سبحانه وتعالى) فىَّ ما يشاء. فلما أتى بها عثمان (رضى الله عنه) أمر برجمها، فبلغ ذلك عليا (رضى الله عنه) فأتاه فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت لتمام ستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له على (رضى الله عنه): أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: أما سمعت الله (عز وجل) يقول: «... *وحمله وفصاله ثلاثون شهرا* ...» وقال: «... *حولين كاملين* ...» فلم نجده بقى إلا ستة أشهر، فقال عثمان (رضى الله عنه): والله ما فطنت بهذا، علىَّ بالمرأة، فوجدوها قد فرغ منها. قال: فقال معمر: فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه قال: ابنى، والله لا أشك فيه...

وجاء علم الأجنة فى القرن العشرين ليؤكد لنا أن أقل مدة للحمل هى ستة أشهر قمرية (أى ١٧٧ يوما) من لحظة الإخصاب، وأن الجنين إذا ولد لستة أشهر فإنه قابل للحياة؛ لأن كافة أجهزة جسمه وأعضائه يكون خلقها قد اكتمل مع نهاية الأسبوع الثامن من لحظة الإخصاب (بعد ٥٦ يوما)، وأن مرحلة إنشائه خلقا آخر تبدأ من اليوم السابع والخمسين من عمر الجنين وتستمر حتى لحظة ميلاده فى فترة تتراوح ما بين الستة والتسعة شهور قمرية (أى ١٧٧ يوما إلى ٢٦٦ يوما بعد لحظة الإخصاب) تتم خلالها عملية تحديد الملامح الشخصية للجنين (الحميل).

وسبق القرآن الكريم بتحديد أقل مدة للحمل بستة شهور، هذا التحديد الجازم الواضح فى أكثر من آية قرآنية كريمة كالتى نحن بصددها لما يقطع بأن هذا الكتاب الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذى قطعه على ذاته العلية (سبحانه وتعالى).

بداية الحمل وبدء انقسام الخلية إلى خليتين

مرحلة متوسطة من الحمل

الحبل السرى فى أواخر مرحلة الحمل

عملية الولادة الطبيعية حيث يكون رأس الجنين فى اتجاه عنق الرحم وهى تمثل حوالى ٩٧٪ من الولادة الطبيعية

عند بدء المخاض يتقلص الرحم ويدفع بالجنين فى طريقه إلى قناة الولادة والخروج من فتحة المهبل

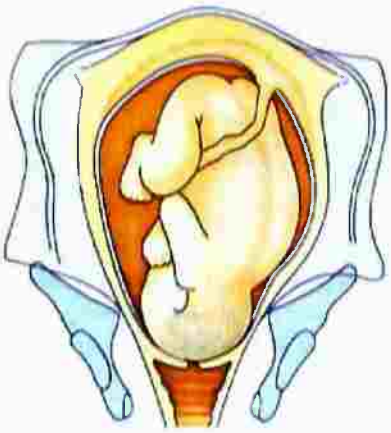

فى المرحلة الأولى للولادة يبدأ عنق الرحم بالتوسع . وتبدأ الرأس بالدوران فى اتجاه عنق الرحم

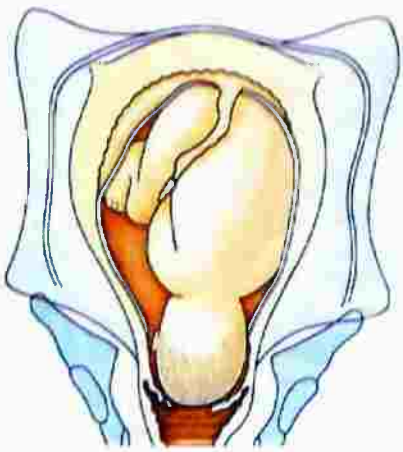

فى أواخر المرحلة الأولى يكون عنق الرحم قد اكتمل اتساعه والرأس قد أتم دورته فى اتجاه عنق الرحم

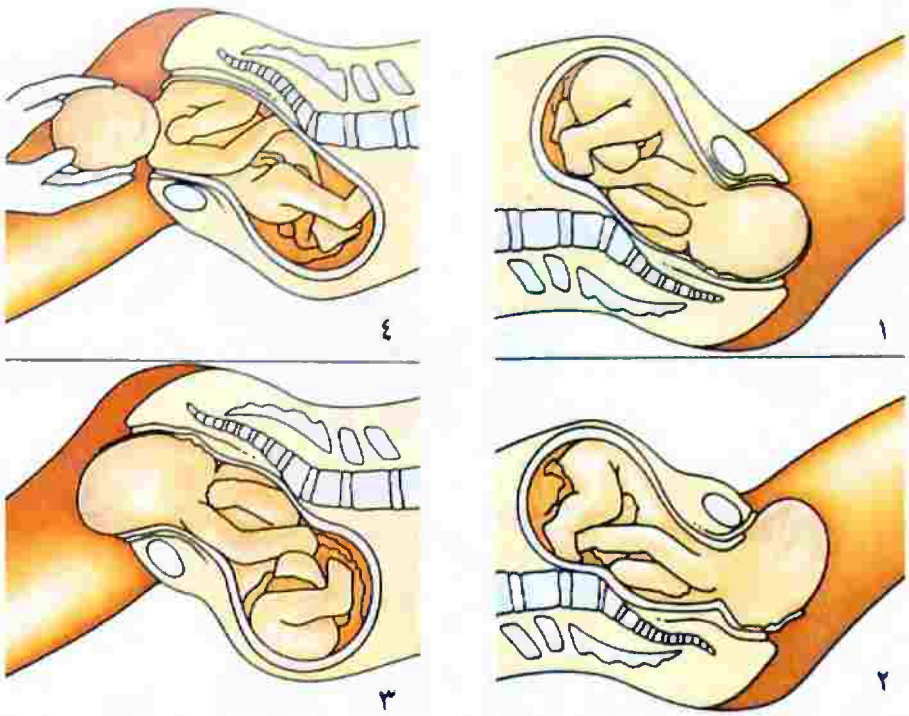

المرحلة الثانية لعملية الولادة وفيها يدور رأس الجنين. وفى وضع معين يخرج الرأس من المهبل ويدور مجدداً ليسهل خروج الكتفين . وهذه هى أصعب لحظات الولادة حيث تكون التقلصات على أشدها، بحيث تأتى كل دقيقتين أو ثلاث دقائق، وتستمر لنحو دقيقتين.

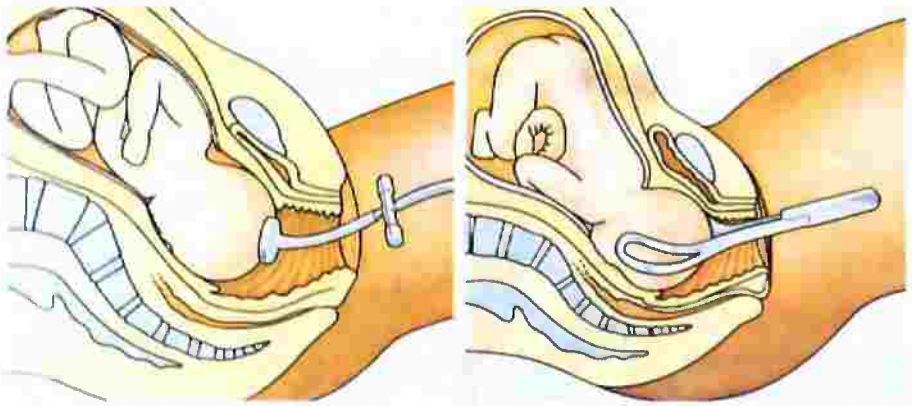

فى حالات تعثر الولادة الطبيعية يلجأ الطبيب إلى سحب الجنين من رأسه بواسطة الكلاب أو بواسطة آلة الشفط

١

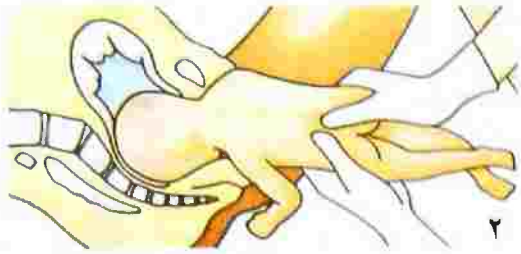

٢

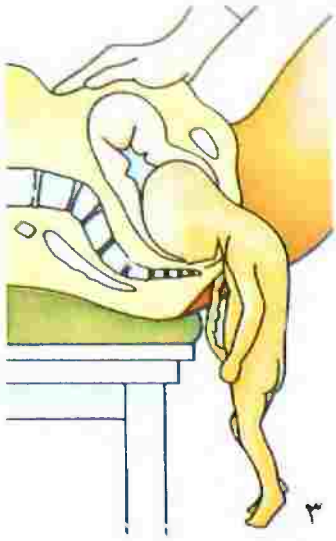

٣

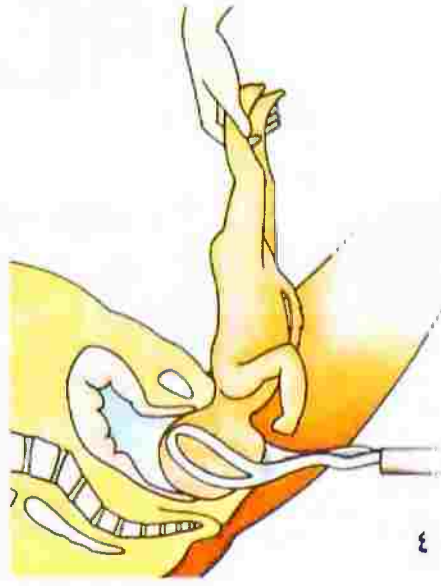

٤

عملية الولادة الطبيعية فى حالة عدم توجه رأس الجنين باتجاه عنق الرحم - وهى حالة قليلة الحدوث - حيث تكون الأليتين فى اتجاه عنق الرحم

يقوم الطبيب بالتعامل مع جسم الجنين، حيث يسحب الساقين والجذع أولاً (صورة ١ ، ٢) ثم يلف الجسم ليسحب الكتفين ويترك الجسم يتدلى لتسهيل إخراج الرأس (صورة ٣) وعند ظهور العنق يرفع الطبيب الجسم إلى أعلى، ثم يسحب الرأس بواسطة الكلاب.

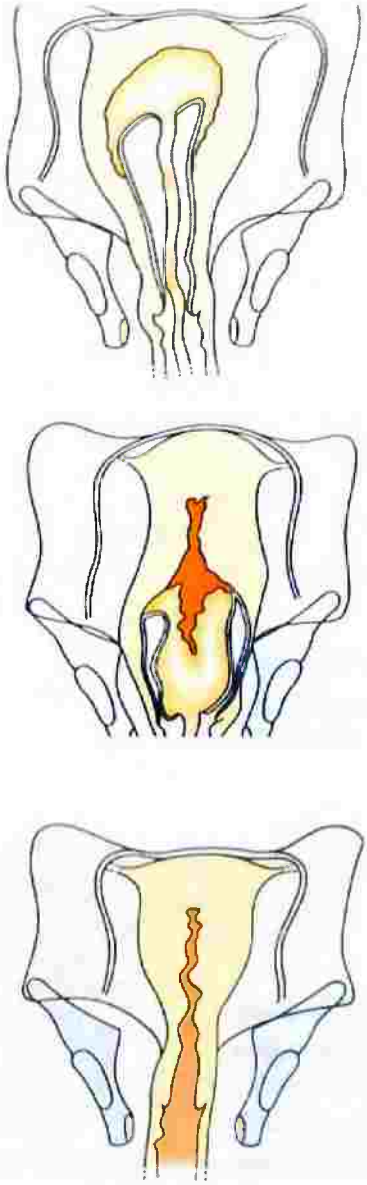

بعد الولادة يعود الرحم للتقلص من جديد. وتنفصل المشيمة من جدار الرحم حيث تنزلق مع الكيس الأمنيونى باتجاه المهبل حيث يتم سحبها بعناية شديدة.